صلح الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

الدَّوافع والخيَارات والدَّلالات والفَوائد

الشيخ الدكتور عبدالله أحمد اليوسف

صلح الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

الدَّوافع والخيَارات والدَّلالات والفَوائد

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ
أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

سورة الأحزاب، الآية: ٣٣

المقدمة

الإمـام الحسـن المجتبـى عليه السلام سـبط رسـول اللـه صلى الله عليه وآله وسلم وريحانتـه، وشـبيهه في حلمه وصبـره وجوده وكرمـه، حتى لقب بكريـم أهـل البيت لكثرة سـخائه وكرمـه، تربى فـي أحضان جده رسـول اللـه صلى الله عليه وآله وسلم، ونشـأ فـي بيـت الإمامـة في ظـل والـده أمير المؤمنيـن الإمـام علي بـن أبي طالب عليه السلام، فجمع في شـخصيته شرف النبوة والإمامة، وشرف النسب والحسب.

هـذا الإمـام العظيـم واجـه فـي حياتـه المباركـة الكثير من المحن والمتاعب والمشاكل التي ألقت بثقلها وتأثيرها على مسار الأحداث قبل وبعد توليه منصب الإمامة والخلافة.

ومن أهـم الأمور التي عانى بسـببها صنوف الأذى النفسـي والعنـف المعنوي حتى من بعض أصحابه المقربين هو صلحه مع معاوية، إذ واجه الإمام الحسن عليه السلام النقد الشديد لإبرامه الصلح مـع علمهم باضطـراره لذلك، بيد أن عقد الصلـح مع الأمويين لم يكن بالحدث العادي؛ بل كان من الأحداث التاريخية الكبرى التي

غيرت مجرى ومسار التاريخ.

ومن هنا، يعد الصلح الذي وقعه الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية من أبرز المواقف السياسية التي ينبغي التركيز عليها عند دراسة السيرة المباركة للإمام الحسن عليه السلام، لأن هذا الحدث الهام يعتبر من أهم الأحداث التاريخية التي يجب دراستها دراسة موضوعية وتحليلية كي يمكن فهم الظروف والملابسات التي ساهمت وأدت إلى توقيع معاهدة الصلح بين الطرفين.

ولا زال وسيبقى الجدل والنقاش بين المؤرخين والكتّاب مستمراً حول دوافع الإمام الحسن عليه السلام للصلح مع معاوية، وأسبابه، ونتائجه، فالقراءة لهذا الحدث التاريخي البارز لم تكن متوافقة؛ بل تختلف باختلاف الميول والتوجهات التي يعتقد بها صاحبها.

وفي هذا الكتاب نحاول أن نسلط الأضواء على مختلف الأبعاد لصلح الإمام الحسن المجتبى عليه السلام مع معاوية بصورة مختصرة ولكنها مركزة، وبيان الدوافع التي دفعت الإمام الحسن عليه السلام للقبول بالصلح، ووثيقة الصلح والخيارات المتاحة، وفوائد الصلح وأضرار عدم القبول به؛ فإن وفقت إلى ذلك فهو الغاية والمطلوب، وإلا فحسبي أنني قد حاولت، وعليه أتوكل، ومنه أستمد العون والتوفيق ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾[سورة هود: ٨٨].

وختاماً... أبتهل إلى الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب في ميزان أعمالي، وإن ينفعني به في آخرتي، ﴿**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾[سورة الشعراء: ٨٨-٨٩]، إنه - تبارك وتعالى - محط الرجاء، وغاية الأمل، وينبوع الرحمة والفيض والعطاء.

والله المستعان

عبدالله أحمد اليوسف

الحلة - القطيف

الخميس ٧/ ١/ ١٤٣٤هـ

٢٢/ ١١/ ٢٠١٢م

البطاقة الشخصية للإمام الحسن عليه السلام

اسمه: الحسن (سماه به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

أبوه: علي أمير المؤمنين عليه السلام.

أمه: فاطمة الزهراء عليها السلام.

جده لأمه: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

جده لأبيه: أبو طالب بن عبد المطلب.

جدته لأمه: خديجة بنت خويلد.

جدته لأبيه: فاطمة بنت أسد بن هاشم.

أخوه لأمه وأبيه: الإمام الحسين عليه السلام.

أخواته لأمه وأبيه: زينب، أم كلثوم عليهما السلام.

ولادته: ولد بالمدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث للهجرة، وقيل سنة اثنتين، وجاءت به فاطمة عليها السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم

يوم السابع من مولده في خرقة من حرير الجنة، وكان جبرئيل نزل بها إلى النبي، فقال: (اللهم إني أعيذه بك وولده من الشيطان الرجيم)، وأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، وسماه حسناً، وعق عنه كبشاً. عاش مع جده سبع سنين وأشهراً، وقيل ثمان سنين، ومع أبيه ثلاثين سنة، وبعده تسع سنين، وقالوا عشر سنين.[١]

صفته: كان عليه السلام أبيض اللون، مشرباً بحمرة، أدعج[٢] العينين، سهل الخدين[٣]، دقيق المسربة[٤]، كث اللحية[٥]، ذا وفرة[٦]، وكأن عنقه إبريق فضة[٧]، عظيم الكراديس[٨]، بعيد ما بين المنكبين، ربعة، ليس بالطويل ولا القصير، مليحاً، من أحسن الناس وجهاً، وكان يخضب بالسواد، وكان جعد الشعر[٩]، حسن البدن.[١٠]

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر أشوب، دار الأضواء، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ- ١٩٩١م، ج٤، ص٣٣.

(٢) الدعج شدة سواد العين مع سعتها .

(٣) صلتها أي سائل الخدين غير مرتفع الوجنتين .

(٤) بفتح الميم وضم الراء الشعر المستدق الذي يأخذ من الصدر إلى السرة .

(٥) كثير شعرها

(٦) الوفرة الشعر إلى شحمة الأذن .

(٧) أي سيف فضة في البريق واللمعان وكذلك كانت صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام.

(٨) كل عظمين التقيا في مفصل فهو كردوس مثل المنكبين والركبتين .

(٩) الجعد ضد البسط.

(١٠) آل أبي طالب، السيد محسن الأمين، دار الهادي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م،ج٣، ص٢٦٩.

حياته مع أبيه: لازم أباه أمير المؤمنين عليه السلام طيلة حياته، وشهد معه حروبه الثلاث: الجمل، صفين، النهروان.

كنيته: أبو محمد (كناه بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

ألقابه: التقي، الزكي، السبط، السيد، الأمين، الحجة، الأثير، المجتبى، الزاهد، البر.

نقش خاتمه: العزة لله وحده.

أشهر زوجاته: خولة بنت منظور الفزارية، أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التميمي، أم بشر بنت أبي مسعود الأنصاري، جعدة بنت الأشعث، هند بنت عبد الرحمن بن أبي بكر.

أولاده: زيد، الحسن، عمرو، القاسم، عبدالله، عبد الرحمن، الحسين الملقب بالأثرم، طلحة.

المعقبون من أولاده اثنان: زيد بن الحسن، والحسن بن الحسن.

بناته: أم الحسن، أم الحسين، فاطمة، أم عبدالله، أم سلمة، رقية.

بوابه: قيس بن ورقاء المعروف بسفينة (مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

كاتبه: عبدالله بن أبي رافع.

بيعته: بويع بالخلافة بعد أبيه يوم الجمعة الحادي والعشرين

من شهر رمضان سنة ٤٠ للهجرة. وكان عمره لما بويع سبعاً وثلاثين سنة، فبقي في خلافته أربعة أشهر وثلاثة أيام.

صلحه: صالح معاوية في النصف من جمادى الأولى سنة ٤١ للهجرة، وخرج الحسن من الكوفة بعد الصلح إلى المدينة فأقام بها عشر سنين.

وفاته: توفي عليه السلام في يوم الخميس السابع من شهر صفر سنة ٥٠ للهجرة، وقيل سنة تسع وأربعين. وعمره سبعة وأربعون سنة وأشهر، وقيل ثمان وأربعون.

قبره: دفنه الإمام الحسين عليه السلام في البقيع عند جدته فاطمة بنت أسد بوصية منه.

مدة إمامته: كانت مدة إمامته عليه السلام عشر سنين.

دوافع الصلح

بعد استشهاد أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في عام ٤٠ هـ بايع الناس الإمام الحسن بن علي عليه السلام كقيادة شرعية للحكم، إلا أن الظروف والأوضاع السياسية و الاجتماعية التي كانت سائدة لم تسمح للإمام الحسن عليه السلام بالاستمرار في الحكم، وإنما ساهمت تلك الأوضاع في توقيع الصلح مع معاوية، والتنازل عن الحكم.

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا: ما هي الأسباب والدوافع التي أدت بالإمام الحسن عليه السلام لتوقيع معاهدة الصلح، والتنازل عن الحكم لصالح معاوية؟!

لمعرفة الإجابة الواضحة على هذا التساؤل المشروع نذكر الأسباب التالية:

١. تفكك المجتمع:

فور سماع معاوية بن أبي سفيان باستشهاد الإمام علي عليه السلام

أَعَدَّ العدة اللازمة، وهيأ جيشاً مكوناً من ستين ألفاً لغزو الكوفة، والسيطرة على كل العالم الإسلامي، حيث كانت الكوفة وقتها عاصمة الخلافة الإسلامية.

وخوض أي حرب مع العدو يحتاج إلى تماسك قوى المجتمع وترابطه، واصطفافه حول (القيادة الشرعية)، في حين أن الواقع الاجتماعي العام في عهد الإمام الحسن عليه السلام لم يكن في حالة يسمح بالدخول في حرب شرسة مع بني أمية، وذلك نتيجة للتفكك الاجتماعي، وحالة القلق والاضطراب الذي أصاب المجتمع الكوفي بعد شهادة الإمام علي عليه السلام.

«فالمجتمع العراقي لم يكن في تلك الفترة مجتمعاً مترابطاً ومتحداً يسوده الانسجام، بل كان مؤلفاً من شرائح وتيارات عديدة متناقضة بينها لا يجمعها أي تفاهم وتنسيق، فقد كان هناك أنصار الحزب الأموي الخطير، والخوارج الذين يوجبون محاربة الفريقين، والمسلمون الموالي الذين وفدوا إلى العراق من مناطق أخرى حيث قد بلغ عددهم العشرين ألفاً، وأخيراً جماعة شكّاكون بلا عقيدة ثابتة يتأرجحون بين تأييد هذا التيار وذاك.

هؤلاء جميعاً شكّلوا المجتمع العراقي في تلك الفترة، هذا مضافاً إلى تلك الشريحة التي تشايع خط أمير المؤمنين وأهل البيت».[1]

---

(١) سيرة الأئمة عليهم السلام، مهدي البيشوائي، تعريب: حسين الواسطي، نشر مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم ـ إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، ص٩٦.

وفي ظل هذا التفكك الاجتماعي العام، وضعف تماسك الجبهة الداخلية، وتناقض مكونات المجتمع، يكون من الصعب الدخول في حرب قوية مع عدو مستعد للحرب والمواجهة، وتحقيق الانتصار عليه؛ بل إن الهزيمة ستكون مؤكدة للطرف الذي يفقد تماسك الجبهة الداخلية لديه، وانهيار الروح المعنوية بين أفراد المجتمع، وهذا ماكان عليه الوضع الاجتماعي في المجتمع العراقي آنئذٍ.

٢ـ الخطر الخارجي:

عندما يكون هناك تهديد خارجي، وعدو يتحين كل فرصة للانقضاض على بلاد المسلمين، وإلحاق الهزيمة بهم، فمن العبث أن يدخل المسلمون في حرب أهلية، إذ أن ذلك يعني التضحية بكل مقدرات و مكاسب وإنجازات المسلمين، والبحث عن المصالح الشخصية على حساب المصلحة العامة.

وقد استعد الروم لغزو بلاد المسلمين عندما وصل إليهم نبأ استعداد جيش الإمام الحسن عليه السلام وجيش معاوية للقتال ضد بعضهما البعض «لأن الروم الشرقية التي كانت قد تلقت ضربات قوية من الإسلام كانت تتحين الفرصة المناسبة دائماً لضرب الإسلام ضربة انتقامية كبيرة لكي تأمن سطوته وسلطته، وعندما وصل نبأ اصطفاف جيشي الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية أمام بعضهما إلى قادة الروم، راحوا يعتقدون أنهم حصلوا على

أفضل فرصة ممكنة لتحقيق أهدافهم، ولذلك انطلقوا بجيش جرار للهجوم على العالم الإسلامي لينتقموا من المسلمين، فهل يبقى هناك خيار أمام شخصية مثل الإمام الحسن حملت أعباء رسالة الحفاظ على الإسلام غير الصلح والهدنة الذي وقى العالم الإسلامي من هذا الخطر الكبير وفي هذه الظروف الحرجة، وحتى لوكان ذلك على حساب الضغوط النفسية ولوم الأصدقاء السذج السطحيين؟!

وكتب اليعقوبي المؤرخ المعروف: ورجع معاوية إلى الشام سنة ٤١ هـ وبلغه أن طاغية الروم قد زحف في جموع كثيرة وخلق عظيم، فخاف أن يشغله عما يحتاج إلى تدبيره وإحكامه، فوجه إليه، فصالحه على مائة ألف دينار، وكان معاوية أول من صالح الروم، وكان صلحه إياهم في أول سنة ٤٢ هـ.(١)

تدل هذه الوثيقة التاريخية على أنه عندما كان النزاع مشتداً بين الطرفين في المجتمع الإسلامي كان عدو المسلمين المشترك على استعداد للهجوم عليه حيث كان العالم الإسلامي عرضة لخطر حقيقي، ولو كانت الحرب تندلع بين الإمام و معاوية، لكانت امبراطورية الروم الشرقية هي المنتصر الوحيد وليس هما، غير أن هذا الخطر قد اندفع بحكمة الإمام وتدبيره وسعة أفق نظرته

(١) تاريخ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ج٢، ص١٥١.

وتسامحه»[١]، وقد قال الإمام الباقر عليه السلام لشخص اعترض على صلح الإمام الحسن عليه السلام: «اسكت، فإنه أعلم بما صنع لولا ما صنع لكان أمر عظيم»[٢].

فما كان يهم الإمام الحسن عليه السلام هو الحفاظ على بلاد المسلمين من أية أخطار خارجية قد تؤدي إلى القضاء على الإسلام وأهله. ولذلك رأى الإمام الحسن عليه السلام ببصيرته النافذة في ظل هذه الأوضاع الخطيرة توقيع معاهدة الصلح مع معاوية للحفاظ على عز الإسلام والمسلمين.

٣ـ الخيانات في جيش الإمام الحسن عليه السلام:

إن أي جيش يريد الدخول في معارك مع الأعداء بحاجة ماسة إلى التماسك والتلاحم والانسجام الداخلي بين أفراده، كما أن من الضروري أن يتحلى قادة الجيش بالإخلاص والسمع والطاعة للقيادة العليا، وأن يكونوا على أتم الاستعداد للتضحية والفداء من أجل الدفاع عن الحق والقيم والقيادة الشرعية.

وللأسف فإن كل ذلك لم يتوافر في جيش الإمام الحسن عليه السلام بصورة عامة، إذ كان جيشه مفككاً، بسبب التعددية العقائدية، والتباين الفكري والثقافي، والتناقض بين مكونات

(١) سيرة الأئمة عليهم السلام، مهدي البيثوائي، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم ـ إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، ص٩٣.
(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٤٤، ص١، رقم ١.

المجتمع العراقي مما انعكس على تركيبة الجيش، مما أفقده الانسجام والانضباط الذي لا بد منه في أي جيش يستعد للقتال.

ومما زاد الطين بلة هو انضمام القائد العام لجيش الإمام الحسن عليه السلام عبيدالله بن العباس إلى معاوية ومعه ثمانية آلاف مقاتل!

«إذ جعل الإمام الحسن عليه السلام عبيدالله بن العباس على مقدمة الجيش وأرسل معه اثنى عشر ألفاً من المقاتلين بعد أن ترك الكوفة منطلقاً إلى قتال معاوية، ونصب كلاً من: قيس بن سعد وسعيد بن قيس، وهما من كبار أصحابه كمستشارين له يخلفانه إذا ما حدث حادث لواحد من هؤلاء الثلاثة على التوالي.

حدد الإمام مسير الجيش واتجاهه وأمر بأن يصد جيش معاوية أينما وجد، وأن يطلعوه على ذلك حتى ينطلق هو بأصل الجيش نحوهم ويلتحق بهم فوراً.

انطلق عبيدالله بمجموعته وعسكر بأرض تدعى «مسكن» قبال جيش معاوية.

لم يمض وقت طويل حتى أبلغ الإمام بأن عبيدالله قد استلم مليون درهم من معاوية والتحق بمعسكره ليلاً برفقة ثمانية آلاف مقاتل».[1]

---

(١) سيرة الأئمة عليهم السلام، مهدي البيثوائي، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم ـ إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، ص١٠١.

ولـم يقتصـر الأمـر على خيانـة عبيدالله بن العبـاس القائد العـام لجيش الإمام الحسـن عليه السلام، بل خان بعض رؤسـاء القبائل والشـخصيات المنحدرة من عوائل كبيرة الإمام الحسـن وراسلوا معاوية وأعلنوا عن حمايتهم لحكمه وشـجعوه على المسـير نحو العراق سراً واعدين إياه أن يسلموه الحسن حياً أو ميتاً إذا ما وصل هو إليهم، فأرسـل معاوية نفس تلك الرسائل إلى الإمام، وقال له: كيف تقاتلني وأنت تثق وتعتمد على هؤلاء؟![1]

وما يدعم هذه الحقيقة هو ما أجاب به الإمام الحسن عليه السلام أحد شـيعته، فقد قال عليه السلام ضمن سـؤاله حول أنه لماذا أعرضت عـن القتال؟ فقـال: «والله لوقاتلـت معاويةلأخـذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً».[2]

وفـي ظل هـذه الخيانـات لكبار قـادة الجيـش، والكثير من أفـراده، وانضمامهم لجيـش معاوية، أصبح جيش الإمام الحسـن عليه السلام مـن الناحيـة العملية غير مسـتعد للدخول في قتـال مع عدو قـوي، وجيـش منظـم. إذ أصبـح معنويـات جيش الإمام الحسـن عليه السلام بعد خيانة كبار القادة العسكريين ضعيفة، ومن المعروف أن أي جيش لا يمكنه تحقيق النصر في ظل معنويات منهارة!

وأمـام هـذا الوضع الخطير في جيش الإمام الحسـن عليه السلام لم

(١) سيرة الأئمة عليهم السلام، مهدي البيثوائي، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم ـ إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، ص١٠٠.
(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٤٤، ص٢٠، رقم٤.

يكن أمامه سوى إمضاء الصلح مع معاوية، وقد أوضح الإمام الحسن عليه السلام ذلك عندما قال له أحد أصحابه: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أذللت رقابنا، وجعلتنا معشر الشيعة عبيداً ما بقي معك رجل!

فقال: ومم ذاك؟

قال: قلت: بتسليمك الأمر لهذا الطاغية.

قال عليه السلام:

«والله ما سلمت الأمر إليه إلا أني لم أجد أنصاراً، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه، ولكن عرفت أهل الكوفة وبلوتهم، ولا يصلح لي منهم ماكان فاسداً، إنهم لاوفاء لهم ولا ذمة في قول ولا فعل، إنهم لمختلفون ويقولون لنا: إن قلوبهم معنا، وإن سيوفهم لمشهورة علينا».[1]

وهذه الرواية تكشف بوضوح أن الإمام الحسن عليه السلام كان مضطراً لتوقيع الصلح بعدما لم يجد معه أنصاراً على استعداد للقتال والتضحية في مواجهة الأعداء، الذين يمتلكون الرجال والمال، والاستعداد للقتال مع معاوية وجزبه الأموي.

٤ـ الملل من الحرب:

لقد كانت حروب الجمل وصفين والنهروان والحروب الخاطفة التي نشبت بين قوات معاوية وبين مراكز الحدود في

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٤٤، ص١٤٧، رقم١٤.

العـراق والحجـاز واليمن بعـد التحكيم قد ولـدت عند أصحاب الإمـام علي حنيناً إلى السـلم والموادعة، فقـد مرت عليهم خمس سـنين وهم لا يضعون سـلاحهم من حرب إلا ليشهروه في حرب أخـرى، وكانـوا لا يقاتلون جماعـات غريبة عنهـم وإنما يحاربون عشـائرهم وإخوانهم بالأمس ومن عرفهم وعرفوه الذين أصبحوا الآن في معسكر معاوية.

وقـد عبـر الناس عـن رغبتهم في الدعـة وكراهيتهـم للقتال بتثاقلهـم عـن حرب الفرق الشـامية التي كانت تغيـر على الحجاز واليمن وحدود العراق، وتثاقلهم عن الاسـتجابة للإمام علي حين دعاهم للخروج ثانية إلى صفين.

فلمـا استشـهد الإمـام علـي عليه السلام وبويـع الحسـن عليه السلام بالخلافـة بـرزت هذه الظاهرة على أشـدها وبخاصـة حين دعاهم الحسـن للتجهز لحرب الشـام حيث كانت الاسـتجابة بطيئة جداً. وعندمـا وصل خبر تحرك جيـش معاوية باتجاه الكوفة، أمر الإمام الحسـن أن يجتمـع الناس في مسـجدها، ثم خطـب خطبة[1]، قال فيها:

«أمـا بعد، فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسـماه كرهاً، ثم قال لأهل الجهاد: ﴿**اصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[2]. فلسـتم أيها

(١) سيرةالأئمة عليهم السلام، مهدي البيثوائي، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم ـ إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، ص٩٤.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون. إنه بلغني أن معاوية بلغه أنا كنا أزمعنا على المسير إليه فتحرك. لذلك فاخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم في النخيلة حتى ننظر وتنظرون، ونرى وترون. قال: فسكنوا فما تكلم منهم أحد ولا أجابه بحرف!»[1].

«وقد قلق الإمام الحسن عليه السلام من عدم استجابتهم لدعوته، إذ لزم الجميع الصمت ولم يستجب له أحد منهم ولا أيدوه بكلمة، وقد كان هذا الموقف مؤسفاً ومحزناً إلى درجة أن أحد أصحاب أمير المؤمنين البسلاء الذي كان حاضراً أنبهم ووبخهم ولامهم على هذا التثاقل والتخاذل ووصفهم بأنهم أبطال مزيفون جبناء، ودعاهم إلى قتال الشاميين والوقوف مع الإمام جنباً إلى جنب.

ويدل هذا الأمر على مدى الخذلان والتثاقل الذي وصل إليه أهالي العراق آنذاك حيث خمدت في نفوسهم نار الحماس والجهاد ولم يكونوا على استعداد لخوض القتال».[2]

وقد خطب الإمام الحسن عليه السلام خطبة، أشار فيها إلى استبائه وتأثره من تثاقل أصحابه من الجهاد، وأنه من الدوافع التي دفعته للصلح، قال عليه السلام: «ويلكم والله أن معاوية لا يفي لأحد منكم بما ضمنه في قتلي، وإني أظن أني إن وضعت يدي في يده فأسالمه لم يتركني أدين لدين جدي صلى الله عليه وآله وسلم، وإني أقدر أن أعبد

(١) بحار الأنوار، العلامة للمجلسي، ج٤٤، ص٥٠.

(٢) سيرة الأئمة عليهم السلام، مهدي البيثوائي، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم ـ إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، ص٩٦.

اللـه عز وجل وحدي، ولكني كأني أنظـر إلى أبنائكم واقفين على أبواب أبنائهم يستسـقونهم ويسـتطعمونهم بما جعلـه الله لهم فلا يسـقون ولا يطعمون، فبعداً وسـحقاً لما كسـبته أيديهم، وسـيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون».[1]

هـذه الدوافـع والتطـورات هي التـي دفعت الإمام الحسـن عليه السلام إلـى الصلـح مع معاويـة، لأنه لم يَـرَ خياراً آخـر غير إعلان الصلح!

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٤٤، ص٣٣، رقم ١.

خيارات الإمام الحسن عليه السلام

كان أمام الإمام الحسن عليه السلام في ظل هذه التطورات الخطيرة من قبيل: تفكك الجبهة الداخلية، والتهديد الخارجي، وخيانة بعض قيادات و أفراد الجيش، والتثاقل عن الجهاد، ثلاث خيارات لا رابع لها وهي:

١ـ المواجهة المسلحة:

ويعني هذا الخيار أن يدخل الإمام الحسن عليه السلام في مواجهة مسلحة مع الحزب الأموي وجيشه، رغم كل التطورات السلبية التي كان يواجهها الإمام الحسن عليه السلام، وكل عوامل الضعف في جيشه، وهذا يعني الدخول في معركة غير متكافئة من الناحية العسكرية والنفسية، مما سيؤدي إلى القضاء على البقية المتبقية من جيش الإمام الحسن عليه السلام، وأصحابه الخلص، وانتصار الحزب الأموي، وهو ما يعني خسارة ثقيلة ستلحق أكبر الضرر بالإسلام وأهله.

٢ـ الاستسلام للعدو:

وهذا الخيار يعني الاستسلام للحزب الأموي من دون أية شروط مسبقة، والانسحاب من الميدان السياسي والاجتماعي، وتسليم أمور الحكم لمعاوية بن أبي سفيان من دون أي مقابل، وهذا الخيار لا يمكن للإمام الحسن عليه السلام أن يقبله، لأنه يخالف أخلاقيات وأدبيات الإسلام، كما أنه لا ينسجم مع السيرة المباركة للأئمة الأطهار.

٣ـ الصلح بشروط:

ويعني توقيع معاهدة صلح بين الإمام الحسن عليه السلام (القيادة الشرعية)، ومعاوية بن أبي سفيان المتمرد على الحكم الشرعي، وكان اتخاذ قرار الصلح المشروط قراراً حكيماً، والخيار الأنسب مع ملاحظة الخيارات الأخرى، إلا أنه لم يكن سهلاً على الإمام الحسن عليه السلام أن يتخذه أيضاً!

لكن عندما نقرأ حقيقة الأوضاع السياسية السائدة في ذلك الوقت، وما يمكن أن تؤدي إليه الخيارات الأخرى من خسائر لا يمكن القبول بها، كان خيار الصلح المشروط هو الخيار الأفضل في التعاطي السياسي مع المستجدات على الساحة الإسلامية التي كان يواجهها الإمام الحسن عليه السلام.

وثيقة الصلح

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما هي بنود وثيقة الصلح؟ وما هي الشروط التي اشترطها الإمام الحسن عليه السلام على معاوية ابن أبي سفيان كي يمضي الصلح بين الطرفين؟

لقد قبل الإمام الحسن بن علي عليه السلام بالصلح مع معاوية بعدما قبل الأخير بكل شروط الإمام الحسن؛ وإليكم نص وثيقة المعاهدة التي على أساسها تصالح الطرفان:

المادة الأولى: تسليم الأمر إلى معاوية، على أن يعمل بكتاب الله وبسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبسيرة الخلفاء الصالحين.

المادة الثانية: أن يكون الأمر للحسن من بعده، فإن حدث به حدث فلأخيه الحسين، وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد.

المادة الثالثة: أن يترك سب أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة، وأن لا يذكر علياً إلا بخير.

المادة الرابعة: استثناء ما في بيت مال الكوفة، وهو خمسة

آلاف ألف فلا يشمله تسليم الأمر. وعلى معاوية أن يحمل إلى الحسن كل عام ألفي ألف درهم، وأن يفضل بني هاشم في العطاء والصلات على بني عبد شمس، وأن يفرق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل وأولاد من قتل معه في صفين ألف ألف درهم، يجعل ذلك من خراج دار (أبجرد)[١]

المادة الخامسة: على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله، في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وأن يؤمن الأسود والأحمر، وأن يحتمل معاوية ما يكون من هفواتهم، وأن لا يتبع أحداً بما مضى، وأن لا يأخذ أهل العراق بإحنة.

وعلى أمان أصحاب علي حيث كانوا، وأن لا ينال أحداً من شيعة علي بمكروه، وأن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وأن لا يتعقب عليهم شيئاً، ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذي حق حقه، وعلى ما أصاب أصحاب علي حيث كانوا.

وعلى أن لا يبغِ للحسن بن علي، ولا لأخيه الحسين، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله غائلة، سراً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم، في أفق من الآفاق.[٢]

---

(١) وهي ولاية بفارس على حدود الأهواز .

(٢) صلح الحسن، الشيخ راضي آل ياسين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى١٤٢١هـ-١٩٩٢م، ص٢٥٩.

دلالات وثيقة الصلح

احتوت بنود وثيقة الصلح على دلالات دينية وسياسية واقتصادية يجب الوقوف عليها لفهم أبعاد الصلح وأهدافه الرئيسة، ومن أجل فهم ذلك، نركز على الحقائق التالية:

١ـ العمل بكتاب اللَّه وسنة رسوله:

اشترط الإمام الحسن عليه السلام على معاوية بن أبي سفيان أن يعمل في الدولة الإسلامية على طبق تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فمعاوية ليس حراً ـ حسب المعاهدة ـ بالتصرف في شؤون المسلمين كما يحلو له، وإنما مطالب بالعمل على طبق حكم الإسلام وليس أي شيء آخر.

ولو كان معاوية يسير على نهج الإسلام، وملتزم بتعاليم القرآن والسنة الشريفة لما اشترط عليه هذا الشرط، ولما جعله في مقدمة الشروط لتوقيع معاهدة الصلح، فيدل هذا ـ بالمفهوم ـ على أنه لم يكن يعمل على ضوء تعاليم وأحكام الإسلام.

٢ـ ولاية العهد:

تنازل الإمام الحسن عليه السلام عن الخلافة لمعاوية لم يكن عن رضا نفس، أو قناعة فكرية أو سياسية بذلك، وإنما أجبرته الظروف السياسية وغيرها على ذلك ـ كما أوضحنا ـ وإلا فمعاوية ليس أهلاً للخلافة كما قال الإمام الحسن عليه السلام حيث ذكر في خطابه يوم الاجتماع في الكوفة:

«إن معاوية زعم أني رأيته للخلافة أهلاً، ولم أَرَ نفسي لها أهلاً، فكذب معاوية. أنا أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان نبي الله»[1].

فالإمام الحسن عليه السلام هو الأحق بالخلافة، ولكن الظروف أجبرت الإمام على التنازل لمعاوية، ولكن الإمام عليه السلام اشترط، على معاوية أن تكون الخلافة من بعده له عليه السلام، فإن حدث به حدث فلأخيه الحسين عليه السلام، وليس لمعاوية أن يعهد إلى أحد كما نصت المادة الثانية من معاهدة الصلح على ذلك، هذا يعني أن معاوية ليس له حق تعيين ولي عهده كما يشاء، وأن الأمر محسوم للإمام الحسن ثم الإمام الحسين، لكن معاوية لم يلتزم بهذا الشرط كغيره من الشروط؛ بل اغتال الإمام الحسن، وعين يزيد بن معاوية ولياً للعهد من بعده! ومن أبى فإن السيف في انتظاره!

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٤٤، ص٢٢، رقم ٦.

٣ـ التوقف عن سب أمير المؤمنين عليه السلام:

جاء في البند الثالث من معاهدة الصلح «أن يترك سب أمير المؤمنين عليه السلام والقنوت عليه بالصلاة، وأن لا يذكر علياً إلا بخير» وفي هذا دلالة واضحة على أن معاوية هو أول من ابتدع (سب الصحابة) بل سب أفضلهم وهو الإمام علي عليه السلام، فلم يتردد معاوية في سب وشتم علي عليه السلام، وأمر بسببه في صلاة الجماعة والجمع، وفي الخطب من على أُعواد المنابر!

وإذا كان سب المسلم وانتقاصه من المحرمات في الإسلام، فكيف بمن سب الإمام علي عليه السلام؟ ! وقد ورد عن أم سلمة أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله تعالى»[1].

وفي صحيح مسلم حديث يدل بوضوح على أن معاوية كان بأمر بسب الإمام علي عليه السلام، فعن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليَّ من حمر النعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول له، خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله! خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال

---

(١) المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت، طبع عام ١٤٠٦هـ، ج٣، ص١٢١.

له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لانبوة بعدي» وسمعته يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله» قال: فتطاولنا لها فقال: «ادعوا لي علياً» فأتي به أرمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ**﴾[1] دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللهم هؤلاء أهلي».[2]

وقد وصل الأمر بمعاوية أنه يعزل عن الولاية كل من يرفض سب الإمام علي عليه السلام «فقد عزل سعيد بن العاص عن إمارة يثرب لأنه امتنع من سب الإمام، وجعل في مكانه مروان بن الحكم، وقد بالغ هذا في لعن الإمام وانتقاصه حتى امتنع الإمام الحسن عليه السلام من حضور الجامع وكان المغيرة بن شعبة يبالغ في كثرة السب حتى لم يحص أحد كثرة سبه له وكان زياد يحرض الناس على ذلك، ومن أبى عرضه على السيف.

لقد بالغ الولاة في لعن الإمام حتى جعلوا سبه من أجزاء صلاة الجمعة، وبلغ الحال أن بعضهم نسي اللعن في خطبة الجمعة فذكره وهو في السفر فقضاه!، وبنوا مسجداً سموه (مسجد الذكر)

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٢) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان، طبع عام ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢ م، ص ٩١٤، رقم ٦٢٢٠.

وخطب هشام بن عبد الملك بعرفة فلم يتناول الإمام بسوء فأنكر عليه عبد الملك بن الوليد قائلاً: «يا أمير المؤمنين، هذا يوم كانت الخلفاء تستحب فيه لعن أبي تراب» فقال له هشام: «ليس لهذا جئنا».

ولما ولي عبد الملك بن مروان جعل في طليعة مهامه سب أمير المؤمنين، وتعميم لعنه على جميع الحضُر الإسلامية، وقد رمى بالفجور في مجلسه، وكان خالد بن عبدالله القسرى وهو أحد ولاة الأمويين على مكة والعراق يجاهر في لعن أمير المؤمنين والحسن والحسين فكان ينزو على المنبر ويقول:

«اللهم العن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم صهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ابنته، وأبا الحسن والحسين !».

ثم يلتفت إلى الناس ويقول لهم:

«هل كنيت؟».

وذكر الحافظ السيوطى أنه كان في أيام بني أمية أكثر من سبعين ألف منبر يلعن عليها ابن أبي طالب عليه السلام وذلك بما سنه لهم معاوية».[1]

لقد انتشر سب أمير المؤمنين ولعنه في جميع الأقطار الإسلامية سوى سجستان فانه لم يلعن على منابرها إلا مرة واحدة

(١) حياة الإمام الحسن، باقر شريف القرشي،ج٢، ص٣٣٤ .

ولما أصر الأمويون على ذلك امتنعوا عليهم حتى أضطر الأمويون أخيراً إلى موافقتهم وبذلك فقد حاز أهل سجستان الشرف والمجد وسجلت لهم هذه المأثرة بمداد من الشرف والنور.

وظل الأمويون مصرين على سب بطل الإسلام وحامي حوزته وقد بذلوا قصارى جهودهم في نشر ذلك إلى أن جاء دور عمر بن عبد العزيز فمنع السب وكتب بالمنع إلى جميع عماله وولاته.[١]

وفي المقابل كان الإمام علي عليه السلام ينهى أصحابه عن سب أهل الشام، فقد قال عليه السلام: «إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم. اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به».[٢]

وهذا يكشف مدى التزام أهل البيت عليهم السلام بالأخلاقيات الفاضلة، في حين أن بني أمية كانوا لا يلتزمون بأية قيم أخلاقية أو مثل إنسانية.

وبالشرط الذي اشترطه الإمام الحسن عليه السلام على معاوية

---

(١) حياة الإمام الحسن، باقر شريف القرشي، ج٢، ص٣٣٦.
(٢) نهج البلاغة، ج٢، ص٤٦٩، رقم ٢٠٦ .

بترك سبب الإمام علي عليه السلام يكون الإمام الحسن قد أوضح للجميع أن معاوية كان يرتكب محرماً بسببه الإمام علي عليه السلام، وأن عدم التزامه بهذا الشرط سيفضحه أكثر أمام الرأي العام، وأنه ليس أهلاً للوفاء بالشروط، وهذا ما حدث فعلاً!

٤ـ الحقوق الاقتصادية:

في البند الرابع من معاهدة الصلح اشترط الإمام الحسن عليه السلام على معاوية أن يكون له (خراج دار ابجرد) ودار ابجرد وهي أراض واسعة بفارس على حدود الأهواز قد فتحها المسلمون عنوة، ويسمى المال المأخوذ من الأراضي المفتوحة عنوة بالفيء، وهذا المال يصرف في المصالح العامة للمسلمين.

«وقد اعتبر بعض الباحثين المادة الرابعة من موضوعات الأمويين أو العباسين لتشويه صورة أهل البيت عليهم السلام وبخاصة الإمام الحسن عليه السلام، باعتبار أن هذه المادة لاتتناسب وشأن الإمام الحسن عليه السلام ومقامه».[1]

إلا أن هذا الرأي يعتبر ضعيفاً، فما طالب به الإمام الحسن عليه السلام هو من حقوقه التي جعلها الله تعالى له، ويؤكد على هذه الحقيقة الشيخ راضي آل ياسين بقوله:

«وأما المادة الرابعة، فلم تكن في حقيقتها الا استثناء متصلاً

(١) أعلام الهداية: الإمام الحسن المجتبى، المجمع العالمي لأهل البيت، قم ـ إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ص ١٤٧.

مـن الماديات التي اشـترطت المعاهدة تسـليمها لمعاوية. ومعنى ذلـك أن المعاهدة سـلمت لمعاوية ما أراد مـن الملك عدا المبالغ المنـوه عنها فـي هذه المادة، فاسـتأثر الحسـن بها لنفسـه ولأخيه ولشيعته، وكانت من حقوقه التي جعل له الله تعالى التصرف فيها. واختار من الخراج الحلال ـ فيما اسـتثنى ـ أبعده عن الشبهات من الوجهة الشرعية، وهو خراج دار ابجرد».[1]

إذن مـا طالـب بـه الإمـام الحسـن عليه السلام هـو مـن حقوقـه الاقتصادية وهو الأحق بالتصرف في أموال المسـلمين من معاوية المسـتولي على الخلافة بغير وجه شرعي، فكما أن الإمام الحسن عليه السلام هـو الأحق بالخلافة، وهو الإمام المعصوم، وبالتالي فإن ما طالب به الإمام الحسن عليه السلام من الأموال له ولشيعته هو من أبسط الحقوق.

ومع ذلك فإن معاوية لم يفِ بهذا الشرط أيضاً، بل أمر عماله بمنع إعطاء الإمام الحسـن عليه السلام خـراج (دار ابجرد) نكاية بالإمام عليه السلام، ورغبة في إضعافه اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً.

٥ ـ الأمن العام للشيعة:

في البند الأخير من المعاهدة اشـترط الإمام الحسـن عليه السلام علـى معاوية إعطاء الأمن العام لأهل البيت عليهم السلام، وللشـيعة أينما

(١) صلح الحسن، الشيخ راضي آل ياسين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-١٩٩٢م، ص ٢٨١ .

كانـوا، والعفو عمـا مضى، والتجاوز عما يأتـي، وعدم التآمر على أهل البيت سواء في السر أو العلن، وأن الشيعة آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وأن يتوقف عن أي عمل قمعي.

ولكن معاوية هو معاوية، ما إن أمضى الإيام الحسـن عليه السلام الصلـح حتـى بـدأ سياسـة التنكيـل والتقتيـل والتعذيـب النفسـي والجسـدي، فقتـل الإمـام الحسـن عليه السلام، وقتل العذيـد من خيار الصحابـة وأتبـاع أهل البيت كحجـر بن عدي، وعبـد الرحمن بن حسـان العنزي، ورشـيد الهجـري، وعمرو بن الحمـق الخزاعي، وأوفـى بن حصـن، وعبدالله بن يحيى الحضرمـي... وغيرهم من ضحايـا العقيدة الذيـن قتلهم معاوية شـر قتلة، ومـارس التعذيب والسـجن والتنكيـل بحـق كل من يثبـت أو يظن أنه مـن أتباع أهل البيت!

وبعـدم التـزام معاوية بـكل شـروط معاهدة الصلـح أصبح جميع الناس على علم بزيف ادعاء معاوية وحزبه الأموي أنه يسير على هدى الإسلام ! وأنه أبعد ما يكون عن الإسلام وتعاليمه.

وهـذا هو الـذي أوجد الأرضية المناسـبة لقيام ثـورة الإمام الحسين عليه السلام ضد الحكم الأموي، وبعد ذلك توالت الانتفاضات والثورات التي قام بها أتباع أهل البيت ضد الحكم الأموي الظالم.

فوائد الصلح

أمضى الإمام الحسن عليه السلام الصلح مع معاوية بعدما بذل الأخير العهود الموثقة والأيمان المغلظة على التزامه بالشروط التي اشترطها الإمام الحسن عليه السلام عليه للقبول بالصلح، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما هي فوائد الصلح؟

إن القبول بالصلح بين أي طرفين إنما يتم بناءً على الفوائد التي ستعود على المتصالحين، ويمكن أن نحدد أهم فوائد وأهداف الإمام الحسن عليه السلام من الصلح مع معاوية في الحقائق التالية:

١ـ الحفاظ على مبادئ الإسلام:

إن استمرار الحروب بين المسلمين له مخاطر كبيرة على الإسلام و أهله، وما كان يهم الإمام الحسن عليه السلام هو الحفاظ على الإسلام وصيانته من أي تحريف أو تشويه أو تزوير، والتنازل عن الملك لمعاوية لايعني التنازل عن الإمامة، فالإمام الحسن عليه السلام هو القائد الشرعي، والإمام المفترض الطاعة سواء كان هو

الماسك بإدارة الحكم أم لا.

فالإمام الحسن عليه السلام من موقعه كان يهمه صيانة الإسلام ومبادئه من أي تحريف أو تشويه، وقد استطاع الإمام الحسن عليه السلام أن ينشر الإسلام بصورته الأصيلة بين الناس.

٢ـ الحفاظ على أتباع أهل البيت:

حاول معاوية بن أبي سفيان وحزبه الأموي أن يجتث أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم من على وجه الأرض، فمعاوية ما كان يهمه إراقة الدماء، وانتهاك الحرمات، فهمه الرئيس هو الحفاظ على كرسي الحكم وإن كلف ذلك قتل الآلاف المؤلفة من البشر.

لقد أراد الإمام الحسن عليه السلام أن يحافظ على أتباع أهل البيت من القتل والتنكيل كما نصَّ على ذلك في البند الخامس من وثيقة الصلح.

وقد أوضح الإمام الحسن عليه السلام أن من أهدافه هو الحفاظ على البقية الباقية من المؤمنين؛ فقد قال عليه السلام لمالك بن ضمرة لما عاتبه على الصلح:

«خشيت أن تجتثوا عن وجه الأرض، فأردت أن يكون للدين في الأرض ناعي»[1].

---

(١) ترجمة الإمام الحسن، ابن عساكر، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ص٢٠٣.

وقال عليه السلام لأبي سعيد لما سأله عن علة الصلح أيضاً: «لولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل»[١]

وحينما قال له سفيان بن أبي ليلى: السلام عليك يا مذل المؤمنين! فقال عليه السلام له: «ما أذللتهم، ولكن كرهت أن أفنيهم وأستأصل شأفتهم لأجل الدنيا»[٢]

هذه العبارات تدل بوضوح أن الصلح قد حفظ أتباع أهل البيت من الفناء بالكامل، وإن كان هذا لايعني أن معاوية قد التزم بما تعهد به؛ بل إنه مارس التنكيل والتجويع والسجن والتقتيل لكل من ثبت أنه من أتباع أهل البيت -كما أوضحنا ذلك سابقاً-، لكن الصلح قد ساهم في التقليل من ذلك، وحافظ على بعض الأتباع من الممارسات القمعية.

٣. كشف القناع الأموي:

كان معاوية يظهر للناس تمسكه بالإسلام، والتزامه بالعهود، ووفاؤه بالشروط، لكن الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام كشف للمخدوعين من الناس زيف ادعاءات معاوية وحزبه، إذ سرعان ما أعلن معاوية أهدافه الحقيقية من الصلح وهو استلام السلطة، والتخلي عن كل الشروط التي قبل بها.

فبعد توقيع معاهدة الصلح «دخل الجانبان الكوفة بقواتهما

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٤٤، ص٢، رقم الحديث ٢.
(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٤٤، ص٢٤.

بعد إبرام معاهدة الصلح، واجتمعوا في مسجدها الكبير والناس كانوا ينتظرون أن يتم التأكيد على بنود المعاهدة من خلال خطب قائدي الفريقين بمرأى ومسمع منهم حتى لايبقى مجال للشك والترديد في تطبيقها. ولم يكن هذا التوقع في غير محله فإن إيراد الخطبة كان جزءاً من الصلح، ولذلك ارتقى معاوية المنبر وخطب خطبة غير أنه ليس فقط لم يؤكد على بنود المعاهدة، بل قال مستخفاً و مستهتراً: أتروني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون ! ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وآلي رقابكم. ثم قال: ألا وإن كل شرط وشيء أعطيت الحسن بن علي تحت قدمي هاتين. وهكذا داس معاوية كل ما تعهد به وشرطه ونقض معاهدة الصلح علانية»[1].

وبهذا الوضوح من معاوية اتضح لكل الناس مدى استهتاره بالعهود، وتخليه عن كل الشروط، واستخفافه بكل شيء سوى الحكم!

وقد أحدث هذا هزة عنيفة في نفوس من كان يظن خيراً بمعاوية وحزبه الأموي، مما دفع بالناس لمطالبة الإمام الحسن عليه السلام بفسخ الهدنة، وإعلان الثورة، إلا أن الإمام الحسن عليه السلام لم يَرَ أن الوقت مناسب لذلك.

---

(١) سيرة الأئمة عليهم السلام، مهدي البيثوائي، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم ـ إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، ص١٠٨.

٤ـ تربية الكوادر:

أعطى الصلح للإمام الحسن عليه السلام أن يتفرغ لتربية كوادر رسالية، وقيادات ناضجة قادرة على نشر الإسلام بصورته الأصيلة، وتعريف الناس بفكر وثقافة أهل البيت عليهم السلام. وهذا ما لم يكن بالإمكان القيام به في ظل التفرغ للمواجهة المسلحة مع الحزب الأموي؛ إذ أن الحروب تستنفر كل القوى والطاقات والإمكانات للتصدي للعدو. أما الصلح والسلام فهو الذي يسمح ببناء القدرات، وتربية الكوادر، ونشر المبادئ والقيم... وهذا ما قام به الإمام الحسن عليه السلام بعد التوقيع على معاهدة الصلح.

تطورات ما بعد الصلح

استطاع الإمام الحسن بن علي عليه السلام بتوقيعه معاهدة الصلح مع معاوية بن أبي سفيان أن يكشف الوجه الحقيقي لمعاوية؛ إذ أنه ـ أي معاوية ـ استطاع وعلى مدى عشرين عاماً من استلامه مقاليد الأمور في بلاد الشام أن يظهر بمظهر المدافع عن الإسلام، المقاتل من أجل فتح البلدان، الحريص على تقدم الإسلام والمسلمين، لكن ما عمله معاوية وحزبه الأموي الذي امتاز بالقدرة على ممارسة التضليل الإعلامي، وخلق الشائعات، وتشويه الحقائق قد ذهب أدراج الرياح بعدما وقع معاهدة الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام.

فمعاهدة الصلح كانت تنص على مجموعة بنود مهمة، لو التزم بها فإن ذلك يعني نهاية الحكم الأموي وإلى الأبد، فلا يحق لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده، وأن الأمر للإمام الحسن عليه السلام، ثم للإمام الحسين عليه السلام، وعليه الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله، وعدم التعرض لأتباع أهل البيت عليهم السلام، ويعتبر الالتزام بهذه

الشروط تحقيقاً لأهداف الإمام الحسن عليه السلام، وهزيمة لمعاوية وحزبه.

ومن جهة أخرى فإن عدم التزامه ببنود معاهدة الصلح يعني فضحه أمام الرأي العام، وظهور القناع المزيف الذي كان يحاول أن لا يظهر للناس، وأنه شخص لا يلتزم بأية عهود، ولا بأية معاهدة!

وقد فَضَّلَ معاوية الخيار الثاني، والتمسك بالسلطة، وعدم الالتزام بأية شروط، وقد أعلن ذلك بصراحة قائلاً:

«يا أهل الكوفة، أترونني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون؟، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وآلي رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وانتم كارهون!. ألا أن كل دم أصيب في هذه الفتنة مطلول، وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين !!»[1]

وبهذا فقد اتضح للناس، كل الناس، مدى الغدر والمكر الذي كان يتمتع به معاوية، وأنه ليس أهلاً للعهود، وكان الإمام الحسن عليه السلام يعلم ذلك، لكن الظروف السياسية والاجتماعية أجبرته على التوقيع على معاهدة الصلح -كما أوضحنا ذلك سابقاً-.

---

(١) صلح الحسن، الشيخ راضي آل ياسين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-١٩٩٢م، ص٢٨٥.

وبعد أن استلم معاوية مقاليد الأمور في كل بلاد المسلمين مارس سياسة التنكيل والإقصاء والتعذيب ضد كل من يخالفه الرأي، أو يختلف معه، أو يحب أهل البيت عليهم السلام «وقد بلغ الاضطهاد حداً جعل يقال له زنديق أو كافر أحب إليه أن يقال من شيعة علي، وكان أشد الناس بلاء حينئذٍ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل معاوية عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف، لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام، فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسملِ العيون وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم.

وكان أهل العراق لا سيما الكوفيون أشد نكبة وبلاء من غيرهم، حتى أن الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته، فيلقي إليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان المغلظة ليكتم عليه.

وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق: ألاَّ يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان:

«انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته، فامحوه من الديوان وأسقطوا رزقه وعطاءه !»

وقد استخلف زياد الذي ولي الكوفة ستة أشهر والبصرة

كذلك تناوباً سمرة بن جندب على البصرة في غيابه فقتل ثمانية آلاف من الناس، فقال له زياد: هل تخاف أن تكون قتلت بريئاً؟ فرد عليه قائلاً: لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت!

وقال أبو سوار العدوي: قتل سمرة من قومي في غداة سبعة وأربعين رجلاً قد جمع القرآن».[1]

وقد هزت الأحداث الرهيبة العراقيين هزاً وسلبتهم الراحة والدعة، وكشفت عن الوجه الحقيقي للحكم الأموي إلى حد ما، وفي الوقت الذي كان رؤساء القبائل يرغدون بما عادت عليهم معاهدة الصلح ويتمتعون بعطايا وصلات معاوية، كان أهل العراق العاديون قد أدركوا طبيعة الحكم الأموي وحقيقته، تلك الحكومة الظالمة المستبدة التي مشوا إليها بأقدامهم وأقاموها بأيديهم.

وولى معاوية المغيرة بن شعبة الكوفة، واستعمل عبدالله بن عامر على البصرة وكان قد عاد إليها بعد أن غادرها إبان قتل عثمان، وذهب معاوية إلى الشام مستقراً في دمشق يدير دولته من هناك.

وقد جعل أهل العراق يذكرون حياتهم أيام علي فيحزنون عليها ويندمون على ماكان من تفريطهم في جنب خليفتهم ويندمون على ماكان من الصلح بينهم وبين أهل الشام، وجعلوا كلما لقي بعضهم بعضاً تلاوموا فيما كان وأجالوا الرأي فيما

---

(١) سيرة الأئمة عليهم السلام، مهدي البيثوائي، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم ـ إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، ص١١١.

يمكن أن يكون، ولم تكد تمضي أعوام قليلة حتى جعلت وفودهم تفد إلى المدينة للقاء الحسن عليه السلام والقول له والاستماع منه.

وعليه كانت فترة الصلح الذي أقامه الإمام فترة إعداد تدريجي للأمة لمواجهة الحكم الأموي حتى يحين اليوم الموعود، يوم يكون المجتمع الإسلامي مستعداً للثورة.(١)

وعندما عرف الجميع سياسة الحكم الأموي الظالم، بدأت تأتي للإمام الحسن بن علي عليه السلام أفواج من المسلمين تطالبه بفسخ الهدنة، وإعلان الجهاد ضد معاوية وحزبه الأموي، لكن الإمام الحسن عليه السلام ببصيرته الثاقبة لم يَرَ أن الوقت قد حان لذلك، بل أخذ يركز على تربية الكوادر، وتهيئة الجو للثورة على حكم بني أمية؛ وهو ما استثمره الإمام الحسين عليه السلام عندما أعلن ثورته على يزيد بن معاوية.

ولما رأى معاوية اصطفاف الناس حول الإمام الحسن عليه السلام بالمدينة، وبعد محاولات عديدة لم تحقق أهدافها لإلهاء الناس بملذات الدنيا وشهواتها، وضع خطة محكمة للقضاء الجسدي على الإمام الحسن بن علي عليه السلام مخالفاً بذلك لبند من بنود معاهدة الصلح والقاضية بعدم التعرض لأحد من أهل البيت عليهم السلام، إلا أنه أثبت عدم التزامه بأية مواثيق أو عهود!

---

(١) سيرة الأئمة عليهم السلام، مهدي البيثوائي، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم ـ إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، ص١١٢.

ومن أجل اغتيال الإمام الحسن عليه السلام استورد من ملك الروم سماً زعافاً ودسه للإمام بواسطة زوجته (جعدة بنت الأشعث) الذي وضعت السم في جرعة من اللبن وقدمته للإمام الحسن عليه السلام وهو صائم!

وقد فعلت (جعدة) ذلك مقابل مئة ألف درهم، وأن يزوجها يزيد بن معاوية!!

وقد بقي الإمام الحسن عليه السلام أربعين يوماً بعد شربه للبن المسموم حتى لحق بالرفيق الأعلى. وهكذا توج الإمام الحسن جهاده العظيم بالشهادة، فذهب لربه شهيداً بعدما قاد الأمة خلال فترة إمامته التي استمرت عشر سنوات في ظروف صعبة ومعقدة للغاية.

فسلام عليه يوم ولد، ويوم استشهد، ويوم يبعث حياً

وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

ثبت المصادر والمراجع

١- **آل ياسين**، الشيخ راضي، **صلح الحسن**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٢- **الأمين**، السيد محسن، **آل أبي طالب**، دار الهادي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٣- **ابن شهر آشوب**، أبو جعفر محمد بن علي السروي المازندراني (ت ٥٨٨ هـ)، **مناقب آل أبي طالب**، تحقيق وفهرسة: د. يوسف البقاعي، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٤- **ابن عساكر**، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ)، **ترجمة الإمام الحسن**، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٥- **البيشوائي**، مهدي، **سيرة الأئمة الاثني عشر**، تعريب: حسين الواسطي، نشر مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم ـ إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٦- **الرضي**، الشريف، **نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب**، شرح الشيخ: محمد عبده، دار البلاغة، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٧- **القرشي**، باقر شريف، **حياة الإمام الحسن** عليه السلام، مؤسسة أهل البيت، بيروت- لبنان، طبع عام ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٨- **القشيري النيسابوري**، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم(ت ٢٦١هـ)، **صحيح مسلم**، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، طبع عام ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٩- **لجنة التأليف**، المجمع العالمي، **أعلام الهداية: الإمام الحسن المجتبى**، المجمع العالمي لأهل البيت، قم ـ إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٠- **المجلسي**، محمد باقر بن محمد تقي، **بحار الأنوار**، مؤسسة أهل البيت، الطبعة الرابعة ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩م.

١١- **النيسابوري**، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، دار المعرفة، بيروت، طبع عام ١٤٠٦هـ.

١٢- **اليعقوبي**، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٩٢ هـ)، **تاريخ اليعقوبي**، علَّق عليه ووضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢م.

المحتويات

المقدمة ٧
البطاقة الشخصية للإمام الحسن عليه السلام ١١
دوافع الصلح ١٥
١ـ تفكك المجتمع ١٥
٢ـ الخطر الخارجي ١٧
٣ـ الخيانات في جيش الإمام الحسن عليه السلام ١٩
٤ـ الملل من الحرب ٢٢
خيارات الإمام الحسن عليه السلام ٢٧
١ـ المواجهة المسلحة ٢٧
٢ـ الاستسلام للعدو ٢٨
٣ـ الصلح بشروط ٢٨
وثيقة الصلح ٢٩
دلالات وثيقة الصلح ٣١
١ـ العمل بكتاب اللّـه وسنة رسوله ٣١
٢ـ ولاية العهد ٣٢
٣ـ التوقف عن سب أمير المؤمنين عليه السلام ٣٣

٤ـ الحقوق الاقتصادية ٣٧
٥ ـ الأمن العام للشيعة ٣٨
فوائد الصلح **٤١**
١ـ الحفاظ على مبادئ الإسلام ٤١
٢ـ الحفاظ على أتباع أهل البيت ٤٢
٣ـ كشف القناع الأموي ٤٣
٤ـ تربية الكوادر: ٤٥
تطورات ما بعد الصلح **٤٧**
ثبت المصادر والمراجع **٥٣**
المحتويات **٥٥**
للتواصل مع المؤلف **٥٦**

للتواصل مع المؤلف

	المملكة العربية السعودية – المنطقة الشرقية ص. ب: ٨٤١ القطيف ٣١٩١١
	٠٠٩٦٦٥٠٣٨٤٤٩٩١
	البريد الإلكتروني: alyousif@alyousif.org alyousif50@gmail.com الموقع على الإنترنت: www.alyousif.org
facebook	صفحة الفيس بوك: http: //www.facebook.com/ alyousif.org
twitter	صفحة التويتر: https://twitter.com/#!/alyousiforg
You Tube	قناة اليوتيوب: http: //www.youtube.com/ alyousiforg